العرب
الإثنين 2020/05/18
السنة 42 العدد 11706

الخروج من العقم اللبناني... باستقالة الحكومة

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ليس العمل عيبا. على العكس من ذلك، يشرّف العمل، أي نوع عمل، الإنسان بغض النظر عن طبيعة ما يمارسه من أجل الحصول على لقمة العيش بالحلال أوّلا. لكن الفارق كبير بين الكلام عن العمل وضرورة التخلّص من العمالة الأجنبية من جهة، ومواجهة الواقع من جهة أخرى. الفارق كبير بين البحث في الأسباب التي أدت إلى الأزمة الاقتصادية التي غرق فيها لبنان وكيف معالجتها من جهة، والكلام الساذج الصادر عن زوجة رئيس الوزراء "الدكتورة" نوار المولوي دياب في أثناء تفقدها "سير العمل" في وزارة الإعلام اللبنانية.

قبل كلّ شيء، ليس معروفا لماذا تفقدت السيدة نوار وزارة الإعلام وبأي صفة قامت بذلك، هل يكفي أن يكون والدها رضوان مولوي إعلاميا ومسؤولا في مرحلة معيّنة عن الوكالة الوطنية للإعلام كي تجد مبررا لتفقد "سير العمل" في وزارة الإعلام والمديريات التابعة لها؟

ما يحدث في لبنان ليس مستغربا. ليس مستغربا انهيار العملة الوطنية وتهريب الدولار إلى سوريا. المستغرب ألا يكون هناك في الحكم والحكومة من يدرك أن لا مستقبل للبنان في حال انهيار النظام المصرفي نهائيا

من حقّ أي لبناني الكلام في الاقتصاد والسياسة والشؤون الوطنية، لكنّ اللافت أنّها المرّة الأولى في تاريخ البلد التي تتصرّف فيها زوجة رئيس الوزراء كمسؤول ذي موقع رسمي، وتدلي بآراء سياسية واقتصادية من منبر مؤسسة رسمية هي وزارة الإعلام.

المخيف أن "الدكتورة" نوار تقول كلاما خطيرا وساذجا في آن يعكس رغبة في إفقار لبنان أكثر مما أصبح فقيرا، والحدّ من طموحات الشاب اللبناني والشابة اللبنانية. لدى الشاب اللبناني طموح التطلع إلى أكثر من العمل في محطة وقود. ولدى الشابة اللبنانية رغبة في أن تعمل في مجال أفضل قليلا من تنظيف المنازل بدل ترك ذلك للخادمات الأجنبيات. أكثر من ذلك، تتحدّث زوجة رئيس الوزراء المقيمة في السراي الحكومي، لأسباب تتعلّق أوّلا برفض أهل السنّة لها ولزوجها، عن تطوير الزراعة والصناعة في لبنان. عن أيّ زراعة تتحدّث وعن أيّ صناعة في بلد مساحته صغيرة وسعر متر الأرض فيه مرتفع. يترافق ذلك مع كلفة اليد العاملة التي يمكن أن تحتاج إليها الزراعة والصناعة. إذا كان لبنان يريد بالفعل الاستفادة من الزراعة، فهو يستطيع اللجوء إلى نوع معيّن من الزراعات المميزة التي يمكن تصديرها إلى دول الخليج وأوروبا في مواسم معيّنة. أمّا بالنسبة إلى الصناعة، ففي استطاعة لبنان، بفضل أبنائه، إيجاد مكان له في مجال صناعة التكنولوجيا الحديثة. ليس سرّا أن إسرائيل تصدّر سنويا بما يقارب 13 مليار دولار بفضل الصناعة المرتبطة بالتكنولوجيا. في إمكان اللبنانيين إيجاد موقع لبلدهم في مجال تصدير التكنولوجيا في حال توفّر الأمن والأمان في لبنان وفي حال حيّد البلد نفسه عن أزمات المنطقة بدل خروج حسن نصرالله الأمين العام لـ"حزب الله" بين حين وآخر وتأكيده بطريقة أو بأخرى أن لبنان ليس سوى تابع لإيران وورقة في يدها.

قد تكون لدى "الدكتورة" كلّ النيّات الحسنة، لكن معالجة الأزمة الاقتصادية عن طريق التخلّص من العمّال الأجانب في لبنان ليست حلّا. ما تتحدث عنه هو هروب من الحلّ وتهرّب من الإجابة عن سؤال في غاية البساطة؛ هو ما الذي حلّ بودائع اللبنانيين والعرب والأجانب في المصارف اللبنانية؟

ليس الموضوع موضوع السيدة مولوي دياب التي تبدو جائعة إلى السلطة أكثر من زوجها، خصوصا أنّها لا تعرف أنّ لا معنى لأن يكون حسّان دياب في موقع رئيس مجلس الوزراء في هذه الأيّام بالذات. لا تعرف أنّ حسّان دياب، المشكوك أصلا في امتلاكه لأيّ معرفة بالسياسة، لا يمكن أن يحقّق أي نجاح في ظلّ هيمنة "حزب الله" على الحكومة وتفادي الاعتراف بأن في أساس الأزمة المالية التي غرق فيها لبنان وجود "حزب الله" وسلاحه والدور الذي لعبه على صعيدي عزل لبنان عربيّا والتسبب بالعقوبات الأميركية على المصارف. مؤسف ألّا يكون في هذه الحكومة من يتجرّأ على الاعتراف بأن لا أمل أمام لبنان بوجود "حزب الله" وسلاحه الذي غطّى الفساد والفاسدين وملف الكهرباء والمعابر غير الشرعية. كلّ كلام آخر لا معنى له، بل مجرّد شعارات من النوع الذي أطلقته نوار مولوي دياب من وزارة الإعلام...

يعيش لبنان في وضع مزر في غياب قيادة سياسية تعي تماما ماذا يدور في المنطقة والعالم... وما هو صندوق النقد الدولي. هناك قيادة سياسية من إنتاج "حزب الله" الذي لا يهمّه مصير النظام المصرفي اللبناني. هناك رئيس للوزراء تنادي زوجته بتعميم الفقر. تغطي ذلك بالدعوة إلى العمل في مهن متواضعة. مرّة أخرى هذا ليس عيبا، ولكن هل هذا ما يطمح إليه الشاب اللبناني الذي يبيع والده أرضا من أجل ضمان تعليمه ووصوله إلى الجامعة؟

كانت زيارة "الدكتورة" دياب لوزارة الإعلام مفيدة من ناحية واحدة. كشفت أنّ "حكومة حزب الله" في "عهد حزب الله" لا تصلح للبنان. كلّ ما تستطيعه هذه الحكومة هو تهجير مزيد من اللبنانيين لا أكثر. تريد هذه الحكومة تحويل لبنان إلى بلد فقير جائع يلعب دور "الساحة" الإيرانية. بكلام أوضح، إن أي تغاض عن الدور الذي يلعبه "حزب الله" على كل صعيد، بما في ذلك منع أي مراقبة للحدود مع سوريا ورفض ترسيم هذه الحدود، هو بمثابة جريمة.

ما يحدث في لبنان ليس مستغربا. ليس مستغربا انهيار العملة الوطنية وتهريب الدولار إلى سوريا. المستغرب ألا يكون هناك في الحكم والحكومة من يدرك أن لا مستقبل للبنان في حال انهيار النظام المصرفي نهائيا. في غياب النظام المصرفي لن يوجد من يموّل أي قطاع إنتاجي، لا الزراعة ولا الصناعة ولا الفنادق ولا المطاعم ولا قطاع الخدمات. في غياب النظام المصرفي لن تكون هناك تجارة ولا شركات تجارية ولا استيراد لمواد أوّلية يحتاجها أي مصنع في لبنان، أو أيّ مشروع زراعي فيه.

بعض التواضع ضروري بين حين وآخر. التواضع يبدأ بالاعتراف أنّ نهاية لبنان بدأت فعليا في اليوم الذي صار فيه "حزب الله"، الذي انتصر على اللبنانيين في حرب صيف 2006، يقرّر من هو رئيس الجمهورية الماروني في السنة 2016... وصولا إلى تقرير من هو رئيس الوزراء السنّي. كلّ ما تبقّى تفاصيل وجائعون إلى السلطة يرفضون أخذ العلم بأن كلّ شيء تغيّر في المنطقة، وأن السيدة دياب تصلح لدور ما في مسلسل "أبوملحم" التلفزيوني في ستينات القرن الماضي ولا إلى ما هو أكثر من ذلك...

ما حصل لم يكن هفوة بمقدار ما كان دليلا آخر على عجز حكومي لا يوازيه سوى العجز الرئاسي الذي يعكس عقما لبنانيا على كلّ المستويات، لا يمكن أن يبدأ الخروج منه إلا باستقالة الحكومة.

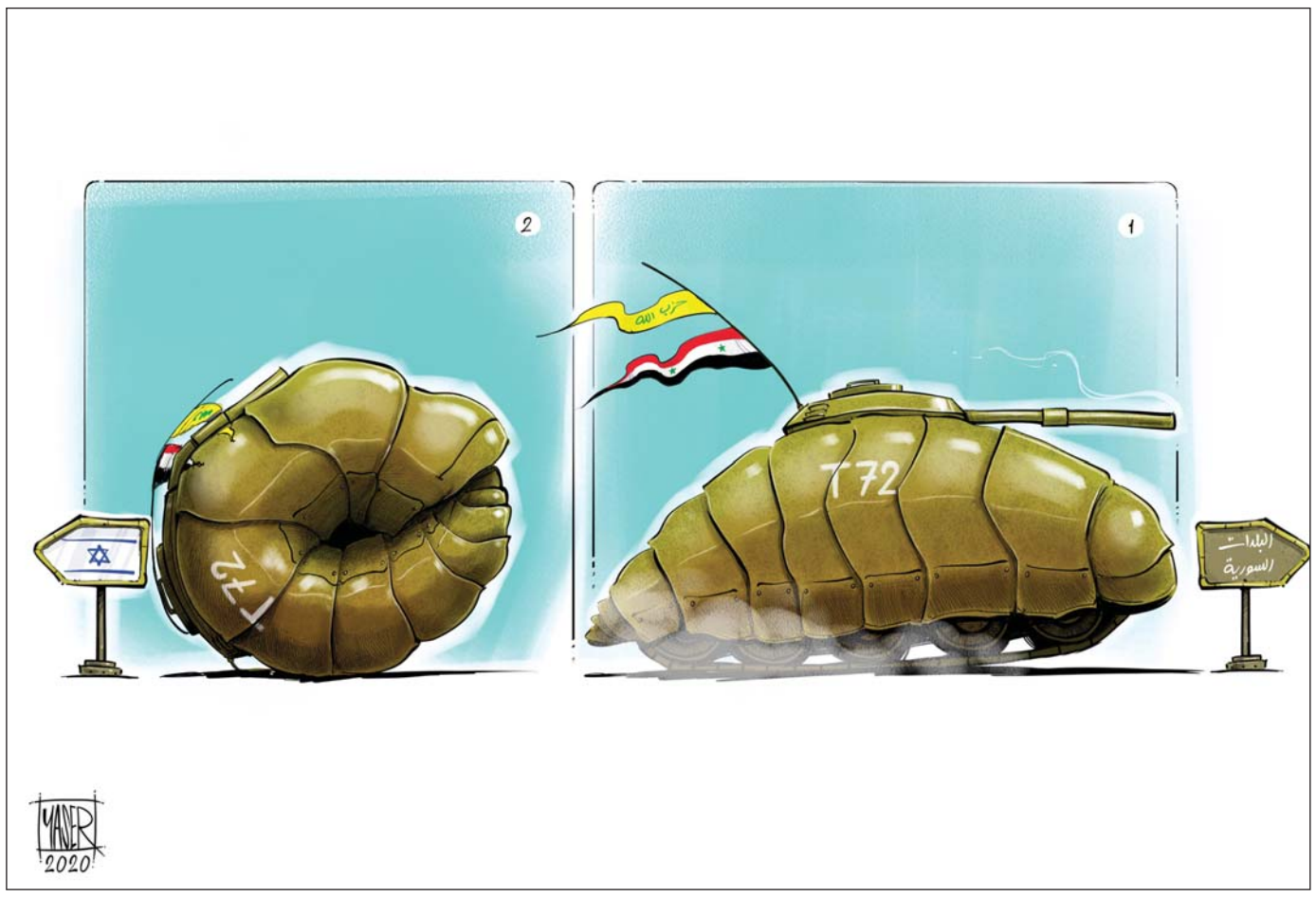

بموضوعية مع حسن نصرالله

عدلي صادق
كاتب وسياسي فلسطيني

ليس من حق إنسان، لاسيما عندما يكون فلسطينياً، أن ينازع أصحاب خطاب المقاومة أهله. لكن الأمين العام لـ"حزب الله" حسن نصرالله في خطاب ذكرى مصطفى بدرالدين (13 مايو 2020) قدم رؤية للمشهد العام، في سوريا، وحرص على القول إنه يتحدث بشفافية، للمرة الأولى.

وضع نصرالله توطئة لحديثه، عن بداية الصراع في سوريا، لكنه تحاشى البدء – مثلما تقتضي البداية – من الأسابيع الأولى للانفجار. كل ما في الأمر في سرديته أن قوى إقليمية ودولية، ضاقت ذرعاً بصمود النظام وامتناعه على محاولات إجباره على التماشي مع سياق تصفية القضية الفلسطينية، وبالتالي لم يكن هناك أي سبب لانفجار الصراع سوى هذا العامل. فكأن الشيخ نصرالله، لم يأخذ علماً بأوضاع سوريا الداخلية، ولا بمنظومة الاستبداد والنهب الواسع، العائلي والعصابي، لمقدرات البلاد، ولا يعلم شيئاً عن اقتصاد الريع والموانئ غير النظامية، ولا وضع اليد على الثروة الاجتماعية، ولا الاحتكارات الممسكة بالإنتاج والأسواق، ولا تكريس الطائفية في بُنية الدولة وتعاملات قوى الأمن، في الجهاز المدني الحكومي. فكل هذه وغيرها، ليست في خطاب نصرالله، إلا من صنع القوى الإقليمية والدولية التي حاولت إسقاط النظام. وكان المفترض من رجل فقيه أن يوازن قليلاً، وأن يعترف بشيء من تلك العوامل، وأن يقدم بالشفافية التي زعم أنه يتحدث بها، رأيه فيها، وما إذا كان قد حاول أن ينصح أو أن يقول كلمة حق، إنصافاً للعدالة ولشعب سوريا.

كذلك تجاهل تماماً الحدث، الشرارة التي أشعلت غضب السوريين، وكان بمقدور رأس النظام، بقليل من الحكمة، أن يمنع تمددها بالتصرف العقلاني والحد الأدنى من الحرص على دماء شعبه، وأن يتمثل موقف القاضي المبتدئ، الذي يحسم قضايا الحق العام وينصف المظلومين.

وكذلك أيضاً، يتجاهل "سيد المقاومة" أن السوريين، عندما وقعوا تحت القبضة الأمنية التي واجهتهم بالنيران، ظلوا لعدة أشهر يهتفون تحت النار والسياط "سلمية.. سلمية" ولم تكن هناك قوى تكفيرية، ولم يضطر الجنود والضباط الممتنعون عن قتل شعبهم، والعديد من عناصر الأجهزة الأمنية نفسها والكثير من الساسة أبناء النظام، إلى شق عصا الطاعة على الدولة، وتشكيل مجموعات عسكرية. وهؤلاء لا يعرفون قطر ولا السعودية ولا الفكر التكفيري، عندما وصل الأمر إلى انشقاق وهرب رئيس الحكومة نفسه.

لا نختلف مع نصرالله على أن الجماعات التي دخلت إلى الأراضي السورية، بعدئذ، واستغلت غضب الناس فاستقطبت عدداً منهم، موبوءة وشيطانية ولا قيم عندها ولا بوصلة لها. فهذه هي التي كانت مقتل الانتفاضة الشعبية. وربما يمضي وقت طويل، لكي تتكشف الحقائق عن بدايات انتشارها، وقد أسهم المتخاصمون جميعاً في إيجادها، سواء من خلال عمليات التسريب الاستخبارية المعقدة، كإطلاق الأشرار من السجون في سوريا والعراق، أو من خلال الواهمين الذين دفعوا بتلك العصابات الضالة إلى سوريا، ظناً منهم أنهم سيفوزون بسوريا بعد إسقاط النظام. فالمخابرات شاركت في الضخ إلى مناطق سكانية لكي يصح قصفها بالجملة، وهناك بعض الشواهد، وإسرائيل شاركت وهناك الكثير من الشواهد، ورجب طيب أردوغان شارك والشواهد أكثر مما تُحصى، ودول عربية شاركت وهذا معلوم، لكن الحماقة في النظام هي التي فتحت الباب لهؤلاء جميعاً.

نصرالله يقول إن الدولة السورية قد حققت في الحرب انتصاراً استراتيجياً. وعندما أطال في شرح هذا الأمر، لم يأت على سيرة الروس، لا على دورهم المركزي في "الانتصار"، ولا على غاياتهم من الزج بقواتهم الجوية لإبادة المجموعات التكفيرية مع الناس الذين ابتلوا بها. فقد دفع الشعب السوري ثمناً غالياً لإبادة هؤلاء. لكن الروس في السياق الدامي، حسب سردية نصرالله، ليسوا أكثر من حلفاء هبوا لنجدة النظام، لمنع تزحزح النظام السوري عن موقفه من القضية الفلسطينية!

في هذه الجزئية الأخيرة، يمكن القول إن النظام السوري لم ينخرط في تسوية لأن شروطها كانت إعادة معظم الجولان مقابل مساحة جغرافية اقتصادية مشتركة تتجاوز مدينة دمشق، ولم تكن العثرة في القضية الفلسطينية، وإنما في اعتراف الحاكمين في إسرائيل بما يُسمى "وديعة رابين"!

لم يقل لنا نصرالله أيضاً، ما هو شكل ومحتوى "انتصار" الدولة الاستراتيجي الذي يتحدث عنه، بينما الوقائع اليومية، تفيد بأن الروس عندما أبرموا اتفاقيات محلية، بينهم وبين مجموعات رفعت السلاح في وجه النظام، حددوا لها أطراً جغرافية تتحرك فيها بحرية ولا تدخلها قوات النظام، وكان ذلك على قاعدة لجم حركة قوات النظام، مقابل عدم تعرضها للهجوم. فهذا أمر ليس لصالح سيطرة النظام، بالتقييم الاستراتيجي التي يتحدث عنه نصرالله. نقول ذلك، على الرغم من قناعتنا، بأن انتصار النظام على المجموعات التكفيرية، أمر يتمناه كل من يريدون الخير لشعب سوريا. لكن هذا الخير لا يكتمل ببقاء النظام على حاله، بعد مئات الألوف من الضحايا والنازحين واللاجئين في أربع رياح الأرض، وبعد التدمير الكارثي للعمران ولمقومات حياة الناس.

كان واضحاً من خلال خطاب الأمين العام لـ"حزب الله" أنه اضطر لوصف حديثه بالشفافية، والتعرض لمسائل مسكوت عنها، لكي يخفف من انطباعات الشعب السوري والأمة العربية حيال عدة معطيات. الأولى أن هناك تعارضا في الأهداف والمقاصد، بين روسيا وإيران، وأن الإيرانيين ينسحبون تحت وطأة الضربات الإسرائيلية، وأن إسرائيل تستعرض وتتظاهر بالتفوق لأن الإيرانيين لا يردون على الضربات بمثلها، وأن إسرائيل مأزومة وخائفة من تطوير الصواريخ وتجهيزها بمستلزمات دقة الإصابة. ومعلوم أن شرح فرضية "الانتصار" الاستراتيجي، تتطلب نفي هذه المعطيات، فتولى أمين عام "حزب الله" نفيها.

قبل التعليق على شرحه لهذه المسائل، نقول إننا نتمنى أن تفشل إسرائيل في تحقيق أهدافها العسكرية في سوريا وتنكفئ، لكن الذي يحدث مراراً وتكراراً هو ضرب أهداف ومخازن ومراكز وإشعال الحرائق فيها دون رد، وأن الروس في ممارساتهم على الأرض، يوسعون الفجوة بينهم وبين الإيرانيين، وتتعارض مقاصدهم.

يكرر نصرالله، مقولة حلفاء النظام. لكن المنطق يقول إن الحليف النبيل للنظام ينصح ويعترض على السياقات الخاطئة، لكي لا يسيء النظام لنفسه ولحلفائه. فلا يتغاضى الحليف عن فظائع السلوك المشهود لكي يتستر على حليفه. فطالما أنه يتدخل للدفاع عنه، فالأجدر به أن يتدخل لإثنائه عن الضلال، وهذا مبدأ في الدين الإسلامي.

حسن نصرالله يكرر مقولة حلفاء النظام. لكن المنطق يقول إن الحليف النبيل للنظام ينصح ويعترض على السياقات الخاطئة، لكي لا يسيء النظام لنفسه ولحلفائه

ربما يكون الروس، ولأسبابهم ومن خلفيات استراتيجيتهم، ينصحون أكثر مما يفعل الإيرانيون وميليشياتهم و"حزب الله"، على الرغم من كون الأصولية الشيعية، في خطاب التقوى، تتحدث عن المظالم الأميركية. لقد كان الأجدر بحسن نصرالله الإفصاح عن جملة أو جملتين، من النُصح لحليفه النظام السوري مدعي القومية العربية، ومنتحل اسم البعث المكروه من الإيرانيين، ومدعي العلمانية التي لا تقبل بها كل الأصوليات. ثم إن الدولة ليست هي النظام، لا في سوريا ولا في غيرها. فليس معنى غياب الأسد وعائلته – عمومة وخؤولة – أن لا دولة موحدة، وأن التقسيم هو المنتظر. فأية وحدة هذه التي أنجزها النظام، وقد زرع التباغض بين السوريين وطوائفهم وطبقاتهم؟

لم يكن نصرالله منصفاً ولا عادلاً ولا شفافاً في خطابه. أما إسرائيل، فقد لعبت وتلعب على كل الأطراف، وكان هدفها إدامة الصراع، وفي مرحلة من المراحل، كانت تستطيع القضاء على الأسد في أقل من دقيقة. فسوريا لا تزال مكشوفة لسلاحها الجوي بالتوافق مع الروس، والباقي عند أمين عام "حزب الله".